الحرمان

لكي ينمو الطفل نمواً سليماً لابد من توفر مطالب النمو التي تتطلبها مراحل النمو التي يمر بها ، وإذا حرم الطفل من الحصول على هذه المطالب سواء كانت هذه المطالب طعاما أو خبرة أو محبة فان ذلك يعيق عميلة نموه. ومن أنواع الحرمان التي يتعرض لها الطفل : الحرمان من الأمومة ، والحرمان الحسي ، والحرمان الثقافي . وسوف نقدم ملخصاً عن كل من هذه الأنواع فيما يلي :

١ – الحرمان من الأمومة :

السنوات الأولى من حياة الطفل مهمة جدا وفيها يوضع أساس تشكل شخصيته ، وللام دور كبير وخطير في هذا المجال . ومن أهم أنواع السلوك التي يتعلمها الطفل في بداية السنة الأولى من عمره الاستجابات الاجتماعية للآخرين ، ويتم تعلم هذه الاستجابات من خلال تفاعل الطفل مع أمه ، فاستجابات الطفل الاجتماعية مثل الابتسام لامه أو الاستجابة ، بتغيرات الوجه لها أو لمن يقوم مقامها لا تلبث أن تعمم على الآخرين أي أن الطفل يتعلم كيف يستجيب استجابة اجتماعية لغير الأم كما يستجيب لامه .

وقد يتعرض الطفل لحرمان من الأمومة ، وهذا الحرمان أما أن يكون جزئيا أو كليا ، فالحرمان الجزئي يحدث نتيجة الحياة مع أم أو بديله عن الأم كإحدى القريبات ويكون اتجاهها نحو الطفل غير ودي . فالطفل الذي تتركه أمه يصرخ ساعات لقضاء عمل لها في المنزل ، وكذلك الطفل الذي تأهمله أمه أما لجهلها أو العدوان لا شعوري عندها نحو الطفل نتيجة خبرات في طفولتها .

أما الحرمان الكلي من الأمومة فيحدث نتيجة لفقدان الأم أو بديلتها الدائمة بالموت والطلاق ، دون أن يكون للطفل أقارب مألوفون لديه يقومون برعايته ، كما قد يكون نتيجة أبعاد الطفل عن أمه نظرا لسوء التوافق بين والديه أو لمرض أمه .

الآثار المترتبة على الحرمان من الأمومة :

تشير الدلائل إلى أن الأطفال الذين تربيهم أمهاتهم في ظروف عائلية سوية عادية ينشئون أحسن حالا من الأطفال الذين ينشئون في مؤسسات لا تقوم التنشئة فيها على العلاقات الشخصية مما يحرمهم من الشعور بدفء الأمومة. ويختلف مدى تأثير الحرمان من الأمومة على الأطفال بعدة عوامل منها العمر الذي يفتقد فيه الطفل رعاية أمه ، وطول فترة الحرمان ، ودرجة أو مستوى نقص رعاية الأم . فالطفل الذي يحرم من الأم في السنة الأولى من عمره وخاصة في بدايتها يفقد شهيته للطعام ويقل نومه ويميل للخمول وعدم الزيادة بالوزن وهو لا يستجيب للمداعبة بالابتسام. أما إذا ابتعد الطفل عن أمه في السنة الثانية أو الثالثة من عمره ، فانه يشعر بالقلق والحزن ويكف عن الكلام ويكثر من البكاء ويرفض الطعام والنوم ويصر أن يُحمل.

ومن جهة ثانية ، فان الطفل يعود إلى السلوك السوي إذا عادت العلاقات الطيبة بينه وبين أمه بعد فترة لا تزيد على ثلاثة أشهر ، أما إذا استمر الحرمان من الأم فترة تزيد عن خمسة شهور فانه لا يتحسن بل يزداد تأخرا .

ويعتمد مدى تأثير الطفل بحرمانه من انه ، كذلك ، على درجة العلاقة بينه وبين أمه ودرجة النقص الذي تعرض له الرعاية ، فالأطفال الذين كانوا على علاقة قوية وسعيدة مع أمهاتهم يقاسون أكثر من الأطفال الذين لم يكونوا على مثل هذه الدرجة من العلاقة أو فقدوا أمهاتهم . وإذا بقي الطفل المحروم من الأم في مؤسسة واحدة فترة زمنية أطول ولقي الرعاية الممتازة من أم بديلة ، فان هذه الرعاية تقلل من آثار الضارة المترتبة على الحرمان من الأمومة ، وفيما يلي ما يترتب على هذا الحرمان من آثار قريبة المدى وآثار بعيدة المدى .

أ – الآثار قريبة المدى :

١– استجابة عدوانية تجاه الأم عند عودة الاتصال بها ، وقد تتخذ احيانا صورة رفض التعرف عليها.

٢– الإلحاح المتزايد في طلب الام او بديلتها ترتبط في الرغبة الشديدة بالتملك .

٣– تعلق مرح ولكنه سطحي باي شخص بالغ في محيط الاسرة .

٤– انسحاب بلا مبالاة من جميع الروابط الانفعالية .

ب – الآثار البعيدة المدى :

تشير الدراسات الى وجود اثار بعيدة المدى يمكن ان تصبح احيانا نكبات الاطفال الذين يمرون بخبرات مؤلمة نتيجة الحرمان الشديد من الام ، وتتلخص هذه الخبرات بعدم وجود أي فرصة لتكوين ارتباط مع صورة الام اثناء السنوات الثلاث الاولى ، او الحرمان الطفل من امه لمدة ثلاثة اشهر على الاقل وقد تمتد اكثر من سنة اثناء السنوات الثلاث او الاربع الاولى او الانتقال بين صورة واخرى للام في الفترة نفسها . ومن تلك الاثار هي :

- تكون ميول الطفل مضادة للمجتمع ، وعدم القدرة على تكوين علاقات اجتماعية سليمة مع الآخرين.
- تاخر في النمو العقلي واستمرار ذلك حتى المراقة.
- تاخر في النمو اللغوي ، وظهور مشكلات النطق والكلام واستمرارها طويلاً .
- تاخر في النمو الجسمي والحركي .
- اتصاف سلكوهم بالعدوانية ضد الاخرين ، كالضرب وتدمير الممتلكات.
- الغضب والسرقة والكذب.
- الميل للاتكالية والاعتماد على الكبار .

- عدم القدرة على التكيف الاجتماعي والانفعالي والميل للانعزال ، والبرود الانفعالي ، واستمر ذلك إلى فترة المراهقة .

٢- الحرمان الحسي :

أن للتنبيه الحسي وأدوات اللعب وفرص التعلم الحركي ، كل هذه مشتركة وغيرها من العوامل لها آثارها على نمو الطفل . لذلك كان من الضروري توفير أدوات اللعب والمنبهات الحسية للطفل حتى يتيح له نمواً عقلياً واجتماعياً سليماً وتجنبه الخمول وأضرار الحرمان الحسي.

٣- الحرمان الثقافي :

للعامل الثقافي تأثير كبير على السلوك النفسي للطفل وعلى نموه العقلي ، فإذا تعرض الطفل لحرمان ثقافي فان ذلك سيؤدي به آثار اجتماعية سيئة والى ضعف في نموه الجسمي والنفسي والثقافي .

يرجع الحرمان الثقافي الى عزامل اقتصادية بالدرجة الاولى ، فافقر يسبب غالبا اهمال الطفل ، كما يسبب اعتلال صحة الام وظروف السكن السيئة . وقد وجد الباحثون ان الوالدين في كثير من العائلات الفقيرة ليس لديهم القدرة على متابعة اطفالهم لانشغالهم بهموم العيش ، الذي يسبب في شعور الاطفال بفقدان الامن النفسي. كما بينت بعض الدراسات ان المستوى العقلي للاطفال يرتفع في الاسر التي تتمتع بمستوى مرتفع للمعيشة ، وعلى العكس من ذلك ، فان اسر الطبقة الفقيرة يقل فيها عدد المتفوقين نسبياً .